توفي القادر باللّه في ذي الحجة (سنة ٤٣٢) وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته (٤١ سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوماً).

٢٦ ـ القائم

هو أبو جعفر عبد اللّه القائم بأمر اللّه. ولي الخلافة بعد أبيه بعهد منه وكانت بيعته في ذي الحجة (سنة ٤٢٢) (نوفمبر سنة ١٠٣١) وبقي خليفة إلى (٣ شعبان سنة ٤٦٧) (٣ إبريل سنة ١٠٧٥) فكانت مدته (٤٤ سنة و٢٥ يوماً).

كان سلطان العراق لأول عهده جلال الدولة بن بهاء الدولة ولم يكن أمره في سلطانه على سداد لكثرة شغب الغلمان والأتراك عليه طالبين مرتباتهم التي لم يكن يقدر على أدائها في أوقاتها لقلة الوارد عليه فلم تجيء (سنة ٤٢٦) إلا وقد اتحل أمر الخلافة والسلطنة جميعاً ببغداد حتى أن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحيى فلقيهم أكراد فأخذ دوابهم فعادوا إلى قراح الخليفة فنهبوا شيئاً ممن ثمرته وقالوا للعمال فيه أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه ووهنه واجتهد في تسليم الجند إلى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة إلى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه وإلى الشهود بترك الشهادة وإلى الفقهاء بترك الفتوى فلما رأى ذلك جلال الدولة سأل أولئك الأجناد ليجيبوه إلى أن يحملهم إلى دار الخلافة ففعلوا فلما وصلوا إليها أطلقوا عظم أمر الغيارين وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم لأن الجند يحملون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم وانتشر العرب في البلاد فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق وبلغوا أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء في المقابر.

ولكثرة تشغيب الجند على جلال الدولة كان الخليفة يتداخل بين الفريقين متوسطاً في أمر الصلح ومع ما ظهر من ضعف جلال الدولة وسقوط هيبته سأل الخليفة القائم (سنة ٤٢٢) أن يخاطب بملك الملوك فامتنع الخليفة من ذلك فاستعان عليه جلال الدولة بالفقهاء الذين يلجأ إليهم السلاطين في مثل ذلك فافتى بالجواز القاضي أبو الطيب الطبري والقاضي أبو عبد اللّه الصيمري والقاضي ابن البيضاوي وأبو القاسم الكرخي وامتنع من الفتيا أبو الحسن الماوردي وجرى بينه وبين من أفتى بالجواز مراجعات فأجاب الخليفة طلب جلال الدولة وخطب له بملك الملوك وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفاً وأقام منقطعاً من شهر رمضان إلى يوم عيد النحر فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفاً فأدخله وحده وقال له قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً

وقرباً منا قد خالفتهم فيما خالف هواي ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة واتباع الحق وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك وحدك وجعلت إذن الحاضرين إليك ليتحققوا عودي إلى ما تحب فشكره ودعا له وأذن لكل من حضر بالخدمة والانصراف وهكذا يفعل بالإنسان قول الحق حيثما يعتقد لا يخشى في ذلك لومة لائم ولا غضب سلطان.

قضى جلال الدولة حياته في منازعات بينه وبين جنوده وبينه وبين أبي كاليجار إلى أن توفي (سنة ٤٣٥) بعد ملك مدته (١٦ سنة و١١ شهراً قال ابن الأثير ومن علم سيرته وضعفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه إلى هذه الغاية علم أن الله على كل شيء قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وكان يزور الصالحين ويقرب منهم وزار مرة مشهدي علي والحسين عليهما السلام وكان يمشي حافياً قبل أن يصل إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ يفعل ذلك تديناً.

استقر في الملك بعده منازعه ابن أخيه أبو كاليجار المرزباني بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ولقبه الخليفه محيي الدين ولم تكن قدمه بأثبت من قدم أبيه ولا سلطانه أوفر بل كان النزاع كثيراً ما يستحكم بين الديلم عنصر السلطان وبين الأتراك قدماء العهد ببغداد وكانت وفاة أبي كاليجار (سنة ٤٤٠).

بويع بالسلطان بعده ابنه أبو نصر خسرو فيروز وطلب من الخليفة أن يلقبه بالملك الرحيم فلم يجب إلى ذلك وقال لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى فأبى إلا أن يكون ذلك لقبه فكان ما أراد واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة وقد استمر سلطاناً حتى ورد إلى بغداد السلطان طغرلبك فأزاله عن ملكه ونفاه إلى قلعة السيرجان وبذلك انقضت مدة آل بويه التي لم يكن فيها شيء من الصلاح للبلاد بل زادتها فساداً وفرقة بما أظهرته من التشيع في بغداد مع أن أكثرية أهلها أهل سنة وجماعة فكان النزاع كثيراً ما يقع بين الفريقين وتحصل حوادث شديدة الوقع في بغداد لا يغيرها الخليفة لضعفه ولا السلطان لأنه كان يعين طائفته ووجد الخلاف بين أفراد البيت بعد وفاة الرجال الثلاثة الذين أسسوا هذا الملك العظيم وكان هذا الخلاف كثيراً ما يدعوا إلى وقوف بعضهم متحاربين وعلى الجملة فإن البلاد التي استولوا عليها لم تستفد من دولتهم شيئاً على طول مدتهم وضخامة دولتهم وأجمل هذه المدة عهد عضد الدولة فاخسرو ثالث ملوك هذه الدولة بالعراق.

آل سلجوق

من عشائر الغز الكبير عشيرة السلاجقة تنسب إلى مقدمها سلجوق بن تقاق وكانت هذه

العشيرة تقيم في بلاد تركستان تحت حكم ملك الترك المسمى بيغوا وكان تقاق مقدم العشيرة إلى قوله يرجعون وعن أمره يصدرون وولد له ابنه سلجوق بذلك الإقليم فلما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم فقربه ملك الترك وجعله قائد الحقد (شباسى) وكان امرأة تخوفه من سلجوق لما ترى من طاعة الناس له فأغرته بقتله وبلغ سلجوق ذلك الخبر فجمع عشيرته وهاجر إلى ديار الإسلام واعتنق الحنيفية فازداد بذلك عزاً إلى عزه وأقام بنواحي جند (على طرف سيحون من حدود الترك) وصار يشن الغارة على بلاد الترك.

في تلك الأوقات قام النزاع بين أحد ملوك السامانية وهاون بن أيلك خان وقد استولى هارون على بعض بلاد فرأى أن يضرب الحديد بالحديد فاستنجد سلجوق فأنجده بابنه أرسلان في جمع من أصحابه فقوي بهم السامانى واسترد من خصمه ما أخذه وهذه أول صلة بين عشيرة السلاجقة والسامانية.

لم يزل سلجوق بجند حتى توفي له ثلاثة من الأولاد هم أرسلان وميكائيل وموسى فأما ميكائيل فغزا غزوة في بلاد الترك فاستشهد وبقيت أولاده وهم بيغوا وطغرلبك محمد وجغرى بك داوود فأطاعتهم عشيرتهم.

رحلوا بعد ذلك من جند ونزلوا بالقرب من بخارى على عشرين فرسخاً منها. فخافهم أميرها فأساء جوارهم وأراد الإيقاع بهم فالتجأوا إلى بغراخان ملك تركستان وأقاموا في بلاده ولمزيد حرصهم على أنفسهم اتفق طغرلبك وداوود أنهما لا يجتمعا عند بغراخان حذراً من مكر يمكره بهم وكان بغراخان يجتهد أن يجمع بينهما عنده فلم ينجح فقبض على طغرلبك وأسره فثار داوود في عشائره ليخلص أخاه فأنفذ إليه بغراخان عسكراً فانهزم ذلك العسكر وخلص طغرلبك من الأسر وانصرف إلى جند.

لما انقرضت دولة السامانية (سنة ٣٨٩) وملك أيلك خان عظم محل أرسلان بن سلجوق بما وراء النهر وكان علي تكين أحد قواد السامانية في حبس أرسلان خان فهرب ولحق ببخارى واستولى عليها واتفق مع أرسلان بن سلجوق فامتنعا واستفحل أمرهما وقصدهما أيلك فهزماه وبقيا ببخارى.

لما عبر محمود بن سبكتكين النهر إلى بخارى للاستيلاء على بلاد ما وراء النهر هرب علي تكين من بخارى وأما أرسلان بن سلجوق وجماعته فإنهم دخلوا المفازة والرمل فاحتموا من محمود فرأى من قوتهم ما هاله وأراد أن يستعمل معهم الحيلة فكاتب أرسلان واستماله ورغبه فورده عليه فلم يكن من محمود إلا أن قبض عليه وسجنه في قلعة ونهب حركاته ثم أمر عشيرته فعبروا نهر جيحون وفرقهم في بلاد خراسان فلم تطمئنوا بها من جور العمال عليهم فسار منهم أهل

ألفي خركاه فلحقوا بأصبهان ومنها إلى أذربيجان ودخلوا مراغة (سنة ٤٢٩) وأحرقوا جامعها وقتلوا من عوامها مقتلة عظيمة فعظم الأمر على أهلها واشتد بهم البلاء.

رأى ذلك أكراد أذربيجان وكانوا مختلفين فاتفقت كلمتهم على هؤلاء المفسدين فانتصفوا منهم رأى الغز أنهم لا مقام لهم هناك فافترقوا فرقتين فطائفة سارت إلى الري ومقدمهم بوقا وطائفة سارت إلى همذان ومقدمهم منصور وكوكتاش.

أما الذين ذهبوا إلى الري فإنهم استولوا عليها ونهبوها نهباً فاحشاً وسبوا النساء وبقوا كذلك خمسة أيام حتى لجأ الحرم إلى الجامع وتفرق الناس كل مذهب ومهرب وكان السعيد من نجا بنفسه وكادوا يستأصلون أهل الري.

وأما الذين ساروا إلى همذان فإنهم ملكوها أيضاً من يد بني بويه (سنة ٤٢٠) ولما دخلوها نهبوها نهباً منكراً لم يفعلوه بغيرها من البلدان غيظاً منهم وحنقاً عليهم حيث قاتلوهم أولاً وأخذوا الحرم وضربت سراياهم إلى أسداذبان وقرى الدينور واستباحوا تلك البلاد.

ولم يزالوا على هذا الإفساد والتخريب حتى ظهرت السلاجقة وخرج إبراهيم ينال أخو طغرلبك إلى الري فلما علموا بمسيره جفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل قاصدين أذربيجان فلم يمكنهم القيام بها لما فعلوه بها أولاً ولأن إبراهيم ينال وراءهم وكانوا يخافونه لأنهم كانوا له ولأخيه طغرلبك رعية فساروا إلى ديار بكر وأميرها سليمان بن نصر الدولة بن مروان فأخربوا ونهبوا أعمالها إلى أن بذل لهم سليمان مالاً ليفارقوا عمله. إذ ذاك صمموا على قصد الموصل وأميرها قرواش من الدولة العقيلية فانهزم عنهم لما حاربوه فدخلوا البلد ونهبوه ووصل قرواش إلى مدينة السن وهناك راسل جلال الدولة سلطان بغداد يعرفه الحال ويطلب النجدة واستنجد أيضاً دبيس بن مزيد ملك الحلة وغيره من أمراء العرب الأكراد.

عمل الغز بأهل الموصل الأعمال الشنيعة من الفتك وهتك الحريم ونهب الأموال ولما اشتد الأمر على أهل الموصل ثاروا بالغز وقتلوا منهم كثيراً فخرج الغز وعسكروا خارج المدينة حتى جمعوا قواهم ثم عادوا إليها متفقين فوضعوا السيف في أهلها وأسروا كثيراً ونهبوا الأموال وأقاموا على ذلك اثني عشر يوماً يقتلون وينهبون.

لما طال مقامهم بتلك البلاد كتب جلال الدولة ونصر الدولة بن مروان إلى طغرلبك يشكون ما حل بالبلاد من تلك الفئة.

بقي قرواش بالسن حتى جاءته النجدات فسار إلى الموصل وبلغ الخبر الغز فهيئوا للحرب فاجتمعت القوتان على نهر العجاج وكان النصر أولاً للغز ثم نصر الله العرب فانهزمت الغز شر

هزيمة وأخذهم السيف وتفرقوا وكثر القتل فيهم وملك العرب حللهم وحركاتهم وكفى اللّه أهل الموصل شرهم وتبعهم قرواش إلى نصيبين ثم عاد منهم فقصدوا ديار بكر وصاروا يعيثون فساداً ولكن قواهم وهنت وتضعضع أمرهم ويسمي التاريخ هذه الطائفة بالغز العراقية وهي بقايا من كان مع أرسلان بن سلجوق.

أما من كان من أولاد ميكائيل بن سلجوق فإنهم أقلعوا بنواحي بخارى كما قدمنا فغص بمكانهم أمير بخارى علي تكين فأعمل الحيلة في الظفر بهم فأرسل إلى يوسف ابن موسى بن سلجوق ومناه الإحسان وفوض إليه التقدم على جميع الأتراك الذين في ولايته ولقبه بالأمير اينانج بيغو وأراد بذلك أن يستعين به وبعشيرته على ابني عمه طغرلبك وداوود وأن يفرق كلمتهم ويضرب بعضهم ببعض فلم تجز هذه الحيلة على يوسف فلم يكن من علي تكين إلا أن قبض عليه وقتله بيد أمير من أمرائه فعظم على ابني عمه فجمعا قومهما للأخذ بثأره وجمع علي تكين جيوشه فكان النصر لطغرلبك وأخيه ثم احتشد علي تكين مرة ثانية وأوقع بالسلاجقة وقعة كانت عليهم شديدة ألجأتهم إلى عبور النهر. نحو خراسان فكتب إليهم خوارزمشاه هارون بن التونتامش ملك خوارزم يستدعيهم للاتفاق معه فساروا إليه وخيموا بظواهر خوارزم (سنة ٤٢٦) واطمأنوا إلى خوارزمشاه ولكن غدر بهم وكبسهم وهم غارون فقتل منهم جمعاً فساروا عن خوارزم إلى مفازة نسا ثم كتبوا إلى الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين يطلبون منه الأمان ويضمنون أن يكونوا عوناً له على من يعاديه فلم يفعل وسير إليهم جيوشه فلقيتهم عند نسا فأوقع السلاجقة بجيش مسعود ولما بلغه ذلك ندم على رده طاعتهم وعلم أن هيبتهم تمكنت من قلوب عسكره فأرسل إليهم يتهددهم ويتوعدهم فكتب إليه طغرلبك هذه الآية ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾ [1] فلما ورد الكتاب على مسعود كتب من ثانية يعدهم المواعيد الجميلة ويأمرهم أن يرحلوا إلى آمل على شاطىء جيحون وينهاهم عن الشر والفساد وأقطع داهستان لداوود (وداهستان مدينة عند مازندان بناها عبد اللّه بن طاهر بين جرجان وخوارزم آخر حدود طبرستان) وأقطع نسا لطغرلبك وأقطع فراوة لبيغو (وفراوة بلدة مما يلي خوارزم) بناها عبد اللّه بن طاهر. استخف السلاجقة برسل مسعود لعدم ثقتهم بالرسالة وصاروا يشنون الغارة على البلاد وعسكر مسعود قد هابهم ومسعود قد شغل عنهم بنفسه وأعرض عن خراسان والسلاجقة فاجتمع وزراؤه وقالوا له إن هؤلاء القوم إذا تركوا وشأنهم استولوا على خراسان سريعاً ثم ساروا منها إلى مدينة غزنة فأيقظوه من رقدته فجهز لهم الجنود مع أكبر قواده وكان داوود قد استولى على مرو وأحسن السيرة في أهلها وخطب له بها أول جمعة في

(١) سورة: آل عمران، الآية: ٢٦.

رجب (سنة ٤٢٨) ولقب في الخطبة بملك الملوك. جاءت الجنود المسعودية فالتقت بجند داوود عند باب مرو فلم يثبت العسكر المسعودي وانهزم أقبح هزيمة وسار أخزى سير إلى هراة فتبعهم داوود إلى طوس وكانت هذه الواقعة هي التي ملك السلاجقة بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد فدخل طغرلبك نيسابور وخطب له بها في شعبان ولقب بالسلطان المعظم وفرقوا النواب في النواحي.

علم ذلك مسعود فاضطر أن يسير بنفسه من غزنة في جيوش عظيمة حتى وصل بلخ ومنها سار في أول رمضان (سنة ٤٢٩) واستعد له السلاجقة فلما التقى الفريقان كان التعب قد أخذ من عسكر مسعود فاجتاحهم السلاجقة واضطر مسعود أن ينهزم ومعه مائة فارس وغنم السلاجقة من هذا العسكر مالاً يدخل تحت الإحصاء فقسمه داوود على عسكره وآثرهم على نفسه.

بعد تلك الواقعة عاد طغرلبك إلى نيسابور فملكها ثانية آخر (سنة ٤٣١) وسكن الناس وطمأنهم بعد أن كانوا في شدة من الفوضى ثم ملك داوود بلخ وفي (سنة ٤٣٣) ملك طغرلبك جرجان وطبرستان من يد أنو شروان بن منوجهر بن قابوس بن وشمكير. وفي (سنة ٤٣٤) ملك خوارزم.

لما تم له ذلك سار يريد الري وبلاد الجبل وكان قد سبقه إليها أخوه لأمه إبراهيم ينال واستولى على الري فلما سمع بقدومه سار إليه وسلمه إياها وجميع ما ملك من بلاد الجبل فأمر طغرلبك بعمارة الري وكانت قد خربت ثم سار إلى قزوين فملكها صلحاً وملك أيضاً همذان.

بذلك تم له ملك أصقاع كبيرة من البلاد الإسلامية وهي خوارزم وخراسان وبلاد الري ووصلت طلائع جنوده إلى البلاد العراقية أهم ذلك الملك أبا كاليجار صاحب العراق ولم يجد في نفسه قدرة على صد ذلك السيل فأرسل إلى طغرلبك في الصلح فأجابه إليه واصطلحا وكتب طغرلبك إلى أخيه إبراهيم ينال يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال على أن يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داوود أخي طغرلبك وتم هذا في ربيع الأول (سنة ٤٣٩) وفي (سنة ٤٤١) خطب لطغرلبك بديار بكر. خطب له بها نصر الدولة ابن مروان صاحبها وفي (سنة ٤٤٢) استولى على أصبهان ثم أطاعته أذربيجان وأرسل إليه من بها من الأمراء يبذلون له الطاعة والخطبة فأبقى بلادهم بأيديهم وأخذ رهائنهم ثم سار إلى أرمينية وقصد ملازجرد وهي للروم فحصرها وأخرب ما حولها وأثر في بلاد الروم آثار عظيمة وبلغ في غزوته هذه إلى أرزن الروم (ارضروم) ولما هجم عليه الشتاء عاد إلى أذربيجان ثم توجه إلى الري فأقام بها إلى (سنة ٤٤٧).

في هذا الوقت كانت الأحوال سيئة في بغداد فإن آل بويه قد تفرقت كلمتهم وزالت من

القلوب هيبتهم فلم يكن يمكنهم أن يحفظوا بغداد لا من عدو طارىء ولا من عياريها ولصوصها فأعدوا الجمهور لقبول ما يغير من هذه الحال. ومما زاد الحال فساداً ما كان من أمر أبي الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة فإنه أراد أن يزيل الخلافة عن بني العباس وكاتب الخليفة المستنصر العلوي بمصر ليدخل في طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد والخليفة العباسي عنده علم ذلك. فكتب إلى السلطان طغرلبك مستنجداً مستغيثاً وكانت هذه أمنيته فأظهر أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوي صاحبها وكاتب أصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها فأمرهم بإعداد الأقوات والعلوفات فعظم الإرجاف ببغداد وفت أعضاد الناس. وصل طغرلبك إلى حلوان وانتشر أصحابه في طريق خراسان فأجفل الناس إلى غربي بغداد وأرسل طغرلبك إلى الخليفة يبالغ في إظهار العبودية والطاعة إلى الأتراك البغداديين يعدهم الجميل والإحسان فاتفق من بغداد من الرؤساء والأمراء على مكاتبة طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة وفعلاً تقدم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد فخطب له في يوم الجمعة (٢٢) محرم (سنة ٤٤٨) ودخلها طغرلبك في الخامس والعشرين منه وقبض على آخر سلاطين بني بويه وهو الملك الرحيم وبذلك انقضت دولتهم ووجدت بالعراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية وهي دولة السلاجقة.

هذه العشيرة استولت على جل ما ملكه المسلمون وقد انقسمت إلى خمسة بيوت:

الأول: السلاجقة العظمى وهي التي كانت تملك خراسان والري والجبال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز.

الثاني: سلاجقة كرمان.

الثالث: سلاجقة العراق.

الرابع: سلاجقة سوريا.

الخامس: سلاجقة الروم.

أما السلاجقة الكبرى فهي الدولة التي أسسها ركن الدين أبو طالب طغرلبك وحياتها (٩٣ سنة) من (سنة ٤٢٩) (١٠٣٩ م) إلى (سنة ٥٢٢) (١١٢٧ م) وهذا ثبتها.

١ ـ ركن الدين أبو طالب طغرلبك: من ..... ٤٢٩ ـ ٤٥٥
٢ ـ عضد الدين أبو شجاع ألب أرسلان ..... ٤٥٥ ـ ٤٦٥
٣ ـ عضد الدين أبو الفتح ملكشاه ..... ٤٦٥ ـ ٤٨٥
٤ ـ ناصر الدين محمود ..... ٤٨٥ ـ ٤٨٧
٥ ـ ركن الدين أبو المظفر بركياروق ..... ٤٨٧ ـ ٤٩٨

٦ ـ ركن الدين ملكشاه الثاني ..... ٤٩٨ ـ ٤٩٨
٧ ـ غياث الدين أبو شجاع محمد ..... ٤٩٨ ـ ٥١١
٨ ـ معز الدين أبو الحارث سنجر ..... ٥١١ ـ ٥٢٢

وقد انقضت دولتهم على أيدي شاهات خوارزم.

وأما سلاجقة كرمان فكانوا من عشيرة قاروت بك بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق وهو أخو ألب أرسلان ومدة ملكهم (١٥٠ سنة) من (٤٣٢) (١٠٤١ م) إلى (٥٨٣) (١١٨٨) وهذا ثبت ملوكها.

١ ـ عماد الدين قرا أرسلان قاروت بك ..... ٤٣٣ ـ ٤٥٦
٢ ـ كرمانشاه ..... ٤٥٦ ـ ٤٦٧
٣ ـ حسين ..... ٤٦٧ ـ ٤٦٧
٤ ـ ركن الدين سلطانشاه ..... ٤٦٦ ـ ٤٧٧
٥ ـ تورانشاه ..... ٤٧٧ ـ ٤٩٠
٦ ـ أرانشاه ..... ٤٩٠ ـ ٤٩٤
٧ ـ أرسلانشاه ..... ٤٩٤ ـ ٥٣٦
٨ ـ مغيث الدين محمد الأول ..... ٥٣٦ ـ ٥٥١
٩ ـ محيي الدين طغريل شاه بهرامشاه ..... ٥٥١ ـ ٥٦٣
أرسلانشاه الثاني.
طرخانشاه
محمد الثاني ..... ٥٦٣ ـ ٥٦٣

وقد انقضت دولتهم على أيدي الغز التركمان.

وأما سلاجقة العراق وكردستان فقد ابتدأت دولتهم (سنة ٥١١) (١١١٧) أي من عهد وفاة غياث الدين أبي شجاع محمد سابع ملوك السلاجقة وانتهت (سنة ٩٠ هـ) (١١٩٤) فبقيت (٧٩ سنة) وانقرضت على أيدي شاهات خوارزم وهذا ثبت ملوكها.

١ ـ مغيث الدين محمود ..... ٥١١ ـ ٥٢٥
٢ ـ غياث الدين داوود ..... ٥٢٥ ـ ٥٢٦
٣ ـ طغريل الأول ..... ٥٢٦ ـ ٥٢٧
٤ ـ غياث الدين مسعود ..... ٥٢٧ ـ ٥٤٧
٥ ـ معين الدين ملكشاه ..... ٥٤٧ ـ ٥٤٨

٦ ـ محمد ..... ٥٤٨ ـ ٥٥٤
٧ ـ سليمانشاه ..... ٥٥٤ ـ ٥٥٦
٨ ـ أرسلانشاه ..... ٥٥٦ ـ ٥٧٣
٩ ـ طغريل الثاني ..... ٥٧٣ ـ ٥٩٠

وأما سلاجقة سوريا فكانوا من بيت تتش بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل ابن سلجوق وقد ابتدأت دولتهم (سنة ٤٨٧) (١٠٩٤) أي في أول عهد ركن الدين بركياروق خامس ملوك السلاجقة العظمى وانتهت (سنة ٥١١) (١١١٧) فكانت حياتها (٢٤ سنة) وانتهت على أيدي الدولتين النورية والأرتقية وهذا ثبت ملوكها.

١ ـ تتش بن ألب أرسلان ..... ٤٧٧ ـ ٤٨٨
٢ ـ رضوان بن تتش ..... ٤٨٨ ـ ٤٨٨
٣ ـ تقاق بن تتش في دمشق ..... ٤٨٨ ـ ٥٠٧
٤ ـ ألب أرسلان أخرص بن رضوان ..... ٥٠٧ ـ ٥٠٨
٥ ـ سلطانشاه بن رضوان ..... ٥٠٨ ـ ٥١١

وأما السلاجقة الروم ملوك قونية وأقصرا فكانوا من بيت قطلمش بن إسرائيل ابن سلجوق وقد ابتدأت دولتهم (سنة ٤٧٠) (١٠٧٧) في عهد جلال الدين أبي الفتح ملكشاه ثالث ملوك السلاجقة العظمى وانتهت (سنة ٧٠٠) (١٣٠٠) فمدة حياتها (٢٣٠ سنة) فهي أطول دول السلاجقة حياة وقد انتهت دولتهم على أيدي الأتراك العثمانيين والمغول وهذا ثبت ملوكها.

١ ـ سليمان بن قطلمش ..... ٤٧٠ ـ ٤٧٥
٢ ـ قليج أرسلان داوود بن سليمان ..... ٤٧٥ ـ ٥٠٠
٣ ـ ملكشاه بن قليج أرسلان ..... ٥٠٠ ـ ٥١٠
٤ ـ مسعود بن قليج أرسلان ..... ٥١٠ ـ ٥٥١
٥ ـ عز الدين قليج أرسلان بن ملكشاه ..... ٥٥١ ـ ٥٨٤
٦ ـ قطب الدين ملكشاه بن قليج أرسلان ..... ٥٨٤ ـ ٥٨٨
٧ ـ غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان ..... ٥٨٨ ـ ٥٩٧
٨ ـ ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان ..... ٥٩٧ ـ ٦٠٠
٩ ـ قليج أرسلان بن سليمان ..... ٦٠٠ ـ ٦٠١
غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان ثانياً ..... ٦٠١ ـ ٦٠٧
١٠ ـ عز الدين كيقاوس بن ملكشاه ..... ٦٠٧ ـ ٦١٦

١١ ـ علاء الدين كيقباذ بن ملكشاه ..... ٦١٦ ـ ٦٣٤
١٢ ـ غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ..... ٦٣٤ ـ ٦٤٣
١٣ ـ عز الدين كيقاوس بن كيخسرو ..... ٦٤٣ ـ ٦٥٥
١٤ ـ ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو ..... ٦٥٥ ـ ٦٦٦
١٥ ـ غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان ..... ٦٦٦ ـ ٦٨٢
١٦ ـ غياث الدين مسعود بن كيقاوس ..... ٦٨٢ ـ ٦٩١
١٧ ـ علاء الدين كيقباذ ..... ٦٩١ ـ ٧٠٠

والذي كان يرتبط تاريخه من هذه البيوت بتاريخ الدولة العباسية لدخول بغداد في حوزتهم السلاجقة العظمى وسلاجقة العراق الذين كان لهم السلطان على العباسيين (٤٤٧) إلى (سنة ٥٩٠) أي (١٤٣ سنة)

استخلف من آل العباس في عهد الدولة السلجوقية تسعة خلفاء وهم:

٢٦ ـ عبد اللّه القائم بأمر اللّه بن القادر بن المقتدر.
٢٧ ـ عبد اللّه المقتدي باللّه بن محمد بن القائم.
٢٨ ـ أحمد المستظهر بن المقتدي
٢٩ ـ الفضل المسترشد بن المستظهر.
٣٠ ـ المنصور الراشد بن المسترشد.
٣١ ـ محمد المقتفي بن المستظهر.
٣٢ ـ يوسف المستنجد بن المقتفي.
٣٣ ـ الحسن المستضيء بن المستنجد.
٣٤ ـ أحمد الناصر بن المستضيء.

وأولهم القائم بأمر اللّه هو الذي في عهده انتهى العصر البويهي وابتدأ ملك السلجوق وآخرهم الناصر لدين اللّه هو الذي انتهى في عصره ملك السلاجقة.

ملك السلطان طغرلبك بغداد وتقرب من الخليفة تقرباً عظيماً حتى إن الخليفة تزوج أرسلان خاتون واسمها خديجة بنت داوود أخي طغرلبك وقبل الخليفة العقد بنفسه وذهبت والدة الخليفة وتسلمتها وأحضرتها إلى دار الخلافة. ولم تقف المصاهرة بين البيتين عند هذا الحد بل إن السلطان طغرلبك تطلع إلى أن يتزوج هو أيضاً من البيت العباسي وهو أمر لم تجر به العادة فأرسل (سنة ٤٥٣) يخطب بنت الخليفة فانزعج الخليفة من هذا الطلب وأرسل إلى السلطان رسولاً أمره أن يستعفي من الإجابة فإن أعفى وإلا تم الأمر على أن يحمل السلطان (٣٠٠٠٠٠٠ دينار) ويسلم

واسط وأعمالها فلما وصل الرسول قال له عميد الملك الكندري وزير طغرلبك لا يحسن أن يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مطالبته أيضاً بطلب الأموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ما طلب منه ففوض الرسول الأمر إلى الوزير فبنى الوزير الأمر على الإجابة وطالع السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم أن همته سمت به إلى الاتصال بتلك الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وأمر الوزير أن يسير إلى بغداد لإتمام ذلك فلما ورد الوزير بغداد رأى من الخليفة امتناعاً ولم يزل المحيطون بالخليفة يرفقون به حتى رد الأمر إلى عميد الملك فحضر إلى دار الخلافة ومعه جمع من الأمراء والحجاب والقضاة والشهود فتكلم وقال للخليفة أسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فأظهر الخليفة نفرة من ذلك وكاد الأمر يفضي إلى فساد ولما رأى الخليفة شدة الأمر أذن في العقد وكل فيه عميد الملك فجرى العقد في شعبان (سنة ٤٥٤) بظاهر تبريز وحمل السلطان أموالاً كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولي العهد ولزوجته ولوالدتها وغيرهم وجعل يعقوباً وما كان بالعراق لخاتون زوجة السلطان التي توفيت للسيدة ابنة الخليفة ولما تم ذلك حضر السلطان إلى بغداد فأراد الخليفة أن يستقبله فاستعفاه من ذلك وأرسل عميد الملك يطلب السيدة من دار الخلافة فنقلت إلى دار المملكة في منتصف صفر (سنة ٤٥٥) وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان إليها وقبل الأرض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت له وحمل لها شيئاً كثيراً من الجواهر وغيرها وبقي كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على كثير من الأمراء وظهر عليه كثير من السرور.

الحادث العظيم ببغداد:

في السنة التي تلي حكم السلاجقة ببغداد وهي (سنة ٤٤٨) كانت عند مدينة سنجار وقعة شديدة بين البساسيري ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي وبين قريش ابن بدران العقيلي ومعه قتلمش ابن عم السلطان طغرلبك انهزم فيها قريش وقتلمش فوصل خبر هذه الواقعة إلى السلطان بعد أن أقام ببغداد ثلاثة عشر شهراً لم يقابل فيها الخليفة فسار عنها بجيوشه فقاتل العرب بالموصل والجزيرة وانتصر عليهم وانتهى الأمر باستيلائه على جميع البلاد الموصلية والجزرية وسلمها إلى أخيه لأمه إبراهيم ينال ثم عاد إلى بغداد في أوائل (سنة ٤٤٩) وقابل الخليفة لأول مرة وفوض إليه الخليفة أمر إدارة البلاد وقد بالغ طغرلبك في احترام مقام الخلافة العباسية وخلع عليه الخليفة سبع خلع وتوج وعمم إشارة إلى جمعه بين ملك العرب والعجم وقلد سيفاً محلى بالذهب وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب فقبل يد الخليفة دفعتين ووضعها على عينه تبركاً، فعل ما فعل من ذلك التعظيم والإجلال تديناً.

وفي (سنة ٤٥٠) ترك إبراهيم ينال بلاد الموصل وتوجه نحو بلاد الجبل ويقال إن المصريين كاتبوه وأطمعوه في الملك فأهم ذلك السلطان وسار وراءه إلى همذان في ذلك الوقت عاد البساسيري بقوته وكان المصريون يساعدونه ويمدونه ولم يزل يجتاح البلاد حتى وصل بغداد في ثامن ذي القعدة (سنة ٤٥٠) واستولى عليها لأنه ليس بها جند يحميها وخطب بجامع المنصور لمعد المستنصر العلوي صاحب مصر وأذن بخير العمل وكانت العامة قد مالت إليه أما الشيعة فلاتحاد المذهب وأما أهل السنة فلما فعل بهم الأتراك.

أما الخليفة القائم فإنه خرج من قصره في ذمام رئيس العرب قريش بن بدران العقيلي استذم منه بذمام الله وذمام رسوله ﷺ وذمام العربية فأعطاه ذلك ونزع قريش قلنسوته فأعطاها الخليفة ثم حمله إلى معسكره وعليه السواد والبردة وبيده السيف وعلى رأسه اللواء وأنزله في خيمة ثم سلمه إلى ابن عمه مهاريش بن المجلي وهو رجل فيه دين وله مروءة فحمله في هودج وسار به إلى حديثة عانة فتركه بها آمناً مطمئناً في ذمام العربية الذي يرى الخيانة عاراً.

أما البساسيري فإنه سار ببغداد سيرة ملك ورفعت على رأسه الألوية البيضاء التي أرسلت إليه من مصر ثم ملك بعد ذلك واسط والبصرة وهتف على منابر تلك البلاد باسم آل علي.

أما السلطان فإنه استنجد بأولاد أخيه أرسلان وياقوتي وقاورت بك فجاؤوه بالعساكر يتلو بعضها بعضاً فلقي بهم أخاه إبراهيم ينال بالقرب من الري فتغلب عليه وأسره ثم أمر به فخنق بوتر قوسه في تاسع جمادى الآخر (سنة ٤٥١) ولما تم له ذلك عاد يطلب العراق وليس له هم إلا إعادة القائم بأمر الله إلى خلافته ولما قارب بغداد أدرك البساسيري أنه لا قبل له بمقاومته فرحل عن بغداد وكان دخوله إليها سادس ذي القعدة (سنة ٤٥٠) وخروجه منها سادس ذي القعدة (سنة ٤٥١) وكان السلطان قد أرسل وهو بالطريق إمام أهل السنة أبا بكر أحمد بن محمد المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران يشكره على ما فعله بالخليفة ويخبره أنه أرسل ابن فورك للقيام بخدمة الخليفة وإحضاره فأرسل قريش إلى ابن عمه مهارش يقول له أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك لينكف بلاء الغزو عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت وأهلك إلى البرية فإنهم إذا علموا أن الخليفة عندنا في البرية لم يقصدوا العراق ونحكم عليهم بما نريد فأبى ذلك مهارش وقال إن الخليفة قد استحلفني بعهود ومواثيق لا مخلص منها وسار بالخليفة إلى العراق وقد لقيهما ابن فورك بتل عكبرا فساروا معاً حتى وصلوا إلى النهروان في (٢٤) ذي القعدة فخرج السلطان إلى خدمة الخليفة فاجتمع به وقبل الأرض بين يديه وهنأه بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان أخيه إبراهيم وأنه قتله عقوبة لما جرى من الوهن على الدولة العباسية فقلده الخليفة بيده سيفاً وقال لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك به أمير

المؤمنين فكشف غشاء الخركاه حتى رآه الأمراء فخدموا وانصرفوا ثم ساروا جميعاً إلى بغداد وكان دخول الخليفة لخمس بقين من ذي القعدة (سنة ٤٥١).

ثم أنفذ السلطان جيشاً لملاحقة البساسيري الذي توجه سمت الشام وسار السلطان في أثرهم فقابلته الطلائع ببعض الطريق فوقف لهم فقاتلوه وقتلوه وحملوا رأسه إلى بغداد وكان البساسيري هذا مملوكاً تركياً من مماليك بهاء الدولة الديلمي تقلبت به الأمور حتى بلغ هذا المقام المشهور وكنيته أبو الحارث وهو منسوب إلى بسا مدينة بفارس، كان سيده الأول منها.

وبعد أن تم ما أراده عاد إلى الري التي جعلت دار ملكه وكان له ببغداد محافظ يسمى الشحنة. وفي (سنة ٤٥٥) عاد إلى بغداد ليبني بابنة الخليفة التي ذكرنا فيما مضى حديثها ثم عاد إلى الري وبها كانت وفاته في يوم الجمعة (٨ رمضان سنة ٤٥٥).

ولما توفي أراد عميد الملك أن يقيم في الملك بعده ابن أخيه سليمان بن داوود ولكن لم يتهيأ له ما أراد وتم الأمر للسلطان.

٢ ـ عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان محمد بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق وقد عارضه في الملك ابن عم أبيه قتلمش بن إسرائيل فقتل دون مراده. استعان ألب أرسلان في إدارة ملكه بوزيره العظيم نظام الملك وسيأتي التعريف به وبما نال المملكة من الخير العميم على يديه.

كان ألب أرسلان بعيد الهمة ثاقب العزم ميمون النقيبة إلى بره بالرعية وإرادته خيرهم وكان إذا أمر ببناء أوعز بأن يكون أسمى بنيان ويقول: آثارنا هذه تدل على علو همتنا ووفور نعمتنا. وكانت أظهر أعماله بالبلاد الرومية فقد أقبل لأول عهده (سنة ٤٦٢) ملك الروم وأخنى على منبج واستباحها وسبى حاميتها فأساء ذلك ألب أرسلان ولا سيما أنه بلغه أن الروم عازمون على إعادة الكرة فأغذ السير إلى أذربيجان لأنه سمع أن ملك الروم أخذ على سمت خلاط ومعه من الجنود من لا يحصون كثرة ولما قارب خلاط أرسل إليها بعشرين ألف فارس فوقف في أوجههم مقدم عسكر خلاط وانتصف منهم وذلك في رابع ذي القعدة (سنة ٤٦٣) ثم تلاحق عسكر الروم ونزل على خلاط محاصراً ونزل على ملازكرد فسلمت حاميتها. حصل ذلك والعسكر السلطاني مجد في سيره ولم ينتظر السلطان تلاحق جنده بل قال أنا أحتسب عند الله نفسي بالشهادة وكان وصول السلطان في اليوم الذي سلمت فيه حامية ملازكرد وكان نزول عسكره في يوم الخميس (٦) ذي القعدة والروم بين خلاط وملازكرد فأرسل السلطان إلى ملك الروم يقول له إن كنت ترغب في الهدنة أتممنا ما تريد وإلا اعتزمنا وعلى الله اعتمدنا، فظن ملك الروم أن صدور هذه الرسالة عن خور فقال للرسول سوف أجيب عن هذا بالري فكان ذلك مما ألهب النفوس الإسلامية وزادها حمية وقال إمام السلطان أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي للسلطان إنك تقاتل عن

دين اللّه الذي وعد بإظهاره، فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر. فلما أصبحوا يوم الجمعة وكادت الشمس تزول تهيأ السلطان وعبأ أصحابه تعبئة عسكريه تدل على فهم ثاقب لأنه قسمهم أربع فرق كل فرقة أقامها في نقطة لا تبرحها لتكون عند اللزوم وراء جند العدو ثم أشعل نار الحرب بهمته العالية واستجر الروم إليه حتى صار الكمين من ورائهم وحينئذ أخذتهم الجنود السلجوقية من أمامهم ومن خلفهم فما عتم الروم أن انهزموا بعد أن أخذ منهم الذعر والرعب وأسر ملكهم، قالوا وكان مع الروم ثلاثة آلاف عجلة لحمل الأثقال ومعهم منجنيقات كثيرة منهم منجنيق له ثمانية أسهم ويمد فيه ألف ومائتا رجل ويحمله مائة عجلة يرمي حجراً وزنه ـ بالرطل الكبير الخلاطي ـ قنطار وكثر عدد الأسرى من الروم وكذلك الغنائم حتى سقطت قيم الدواب والكراع والسلاح والمتاع فبيعت (١٢) خوذة بسدس دينار وثلاثة أدراع بدينار.

وعاد السلطان مؤيداً ظافراً بعد هذه الواقعة التي لم تقم للروم بعدها قائمة في نواحي أرمينية.

وكان عهد ألب أرسلان كله عهد نمو وارتقاء في دولة السلاجقة لا للسيف وحده بل للعلم أيضاً فإن نظام الملك أسس في عهده أول المدارس النظامية ببغداد وقد تم بناؤها (سنة ٤٥٨) ودرس فيها شيخ الشافعية بالعراق بل وبغيرها وهو الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ولما رأى ذلك شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور مستوفي المملكة ببغداد بنى على ضريح أبي حنيفة رحمه اللّه بباب الطاق مشهداً ومدرسة لأصحابه وكتب على تلك القبة.

ألم تر هذا العلم كان مشتتاً فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة فأنشرها فضل العميد أبي سعد

وفي (سنة ٤٦٥) توجه ألب أرسلان قاصداً بلاد الترك فعبر نهر جيحون ولكن المشيئة سابقته فسبقته. حكي عنه أنه قال وهو يقرب من الموت: ما كنت قط في وجه قصدته ولا عدو أردته إلا توكلت على اللّه وطلبت منه النصر وأما في هذه النوبة فإني أشرفت من تل عال فرأيت عسكري فقلت أين من له قدر بمصارعتي ومعارضتي وإني أصل بهذا العسكر إلى بلاد الصين. فكان ما أراد اللّه وكانت وفاته في (٦) ربيع الأول (سنة ٤٦٥).

ولي السلطنة بعده ولي عهده السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه.

ولأوائل حكمه توفي الخليفة القائم بأمر اللّه ثالث عشر شعبان (سنة ٤٦٧) فقام بالإمر بعده ولي عهده حفيده.

٢٧ ـ المقتدي بأمر اللّه

أبو القاسم عبد اللّه بن الذخيرة أبي العباس محمد بن القائم ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر